دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: التراث المعماري والعمراني بضفتي المتوسط: تواصلا في التصور واختلافاً في المناهج

المصدر: مجلة مسارات

الناشر: مركز مسارات للدراسات الفلسفية والإنسانيات

المؤلف الرئيسي: السبيعي، عبيد

المجلد/العدد: ع10

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 2017

الشهر: ربيع

الصفحات: 82 - 111

رقم MD: 853682

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

اللغة: Arabic

قواعد المعلومات: HumanIndex

مواضيع: التراث العربي، التراث المعماري، التراث العمراني، التواصل الحضاري، حوض البحر الأبيض المتوسط

رابط: http://search.mandumah.com/Record/853682

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التراث المعماري والعمراني بضفتي المتوسط:

تواصلا في التصور واختلافا في المناهج

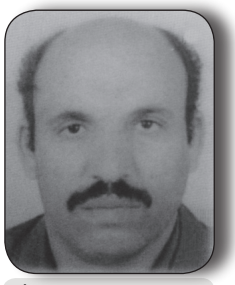

عبيد السبيعي (*)
sebei.abid@hotmail.com

ملخّص

يشكّل حوض البحر الأبيض المتوسط امتدادا جغرافيا واسعا وتواصلا تاريخيا وحضاريا عميقا، جعلت منه مهدا للتّواصل الحضاري في السلم والحرب، ووحّدت بين منظوماته المعمارية والعمرانية إلى حدّ كبير، حتى أصبح من الصعب التعرّف على الفوارق الشّكلية والمرجعيات الفكرية التي تميزها. لتنصهر جميعها- بما في ذلك المنظومة المعمارية والعمرانية العربية الإسلامية- التي لضعفها وتفكّكها بقيت دائرة في فلك المنظومة الغربية- الكونية المعاصرة، حتى أصبح من المسلّمات أنْ لا مجال لمعالجة مثل هذه المسائل خارج المرجعيّة العمرانيّة الغربيّة وبمنأى عن مفاهيمها، ومناهجها، وسياقاتها التّاريخية والمعرفية، لارتباك مفهوم العلم وتماهيه مع هذا السياق.

ورغم تشابه هذه المنظومات وتقاربها من حيث الأشكال والنماذج،

(*) - أستاذ محاضر في التعمير والتهيئة بجامعة قرطاج - المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية والتعمير بتونس.

فقد اختلفت دلالاتها ومعانيها وتبايّن بناءها الفكري والرّمزي. ممّا يستوجب الوقوف على مواقع الائتلاف والاختلاف منها، وملامسة ما هو مسكوت عنه من مزاعم التمّاهي بين الخصوصي العربي الإسلامي من جهة والغربي الكوني الحديث والمعاصر من جهة أخرى، وللتعرّف على هذه المنظومتين: الغربيّة بخلفياتها الفلسفية- المجالية ذات النزعة التوسعية الأفقية، والعربيّة الإسلاميّة بخلفياتها التشريعية- العقدية- المجالية ذات النزعة التراكمية، لتبيّن الأسباب المعرفية والمقاربات العلمية التي كانت وراء هذا الخلط الحاصل بين التّراث المعماري والعمراني بالضفة الشمالية والجنوبية للمتوسط.

مقدّمة:

يشكّل حوض البحر الأبيض المتوسّط امتدادا جغرافيا واسعا، وتواصلا تاريخيا عميقا وتفاعلا حضاريّا كثير التّقاطع، خضعت ضفافه بين مدّ وجزر إلى تداعيات مناخية متعارضة، وعرفت شعوبه في زمن الحرب والسّلم تدافعا وتفاعلا شديدا، جعلت من هذه الضفاف مهدا هاما للتّواصل الحضاري الإنساني، ووحدت إلى حدّ كبير بين منظوماتها المعمارية والعمرانية في التصوّر والإنجاز رغم الاختلافات الفكرية والمرجعية التي تشقّها واقعا، والمختلف حولها مفهوما ومنهجا[1].

لقد اختلطت المنظومات المعمارية والعمرانية على ضفاف المتوسط، على مستوى المفاهيم والمناهج والتصورات، حتى أصبح من الصعب التعرّف على الفوارق الشكلية والمرجعيات الفكرية التي تميّز كلّ تراث ونتاج معماري وعمراني عن غيره وانصهرت جميعها أو تكاد ضمن المنظومة المعمارية والعمرانية الغربية الكونية المعاصرة بمدارسها وتوجّهاتها أمام قوة وعزم هذه المنظومة الغربية وتميّزها المرجعي والفكري والفلسفي والإيديولوجي، وسحبها لمنظومتها المعرفيّة من مفاهيم ومناهج وآليات للتّحليل والفهم

(1) - بن عابد (عائشة)، «حوض الأبيض المتوسّط قبل الفتوحات الإسلامية»، ضمن كتاب **اكتشف الفن الإسلامي في حوض المتوسّط**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2007، ص ص 21 - 30.

على كلّ ما حولها من نتاج معماري وعمراني، لتحويله إلى رافد من روادفها[2]. إضافة إلى ضعف وتفكّك المنظومة الفكرية والمجالية العربية الإسلامية التي أسست للتراث المعماري والعمراني العربي الإسلامي على الضفاف الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط والأندلس. حتى أصبح من المسلمات علميا لدى الباحثين في هذا المجال أن مجرّد الخوض في مثل هذه الإشكاليات الخلافية خارج السياق المعرفي الغربي ـ الكوني المعاصر مجرّد عبث، وخروج عن المنهج العلمي الصحيح والتفكير الحر السليم، ونشاز مع الواقع ومع التاريخ، بل هو الخطأ العلمي الكبير الذي لا يمكن القبول به في عرف المختصين، لارتباك مفهوم العلم لديهم وتماهيه مع التفكير والمنهج العلمي الغربي المعاصر، بل واقتصاره عليه.

لقد دفع هذا الارتباك بالعديد من الدّارسين والباحثين في المجال المعماري والعمراني إلى السقوط في الأخطاء، والخلط بين المفاهيم، والتعميم في المناهج والأحكام والنتائج، وهما منهم، بوحدة المرجعيات الفكرية للتراث وللممارسة المعمارية والعمرانية الإنسانية، وكونية التصوّر والحلول[3]. فأفقدوها بذلك خصوصياتها التراثية وثراءها المعماري والعمراني، وجعلوها نسخا مشوّهة وعالة بعضها على بعض، ليزيدوا بذلك الخرق العلمي والمعرفي اتّساعا، والسقوط في فوضى المفاهيم والمناهج عمقا وتردّيا[4].

لم يكن التّراث المعماري والعمراني العربي الإسلامي بالضفة الجنوبية للمتوسط بعيدا عن هذا الحراك والتّدافع الحضاري في تباعده وتقاربه مع تراث الضفة الشمالية، غير أنّ غياب القراءة الواعية لهذا التراث على مستوى المفاهيم والمناهج ـ وأمام الحضور القوي للتوجّه المعماري والعمراني الغربي، بآلياته ووسائله، ومرجعياته الفكرية والفلسفية والإيديولوجية وتوسّعه ـ ، جعلت الباحثين في هذا الموضوع من يستبق الأحكام ويتجاوز الأدلّة إلى درجة القول بنفي وجود المدينة العربية الإسلامية أصلا، كما

(2) - محمد مراد (بركات)، **رؤية فلسفية لفنون إسلامية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2009، ص 79.

(3) - كريزويل (ك)، **الآثار الإسلامية الأولى**، ترجمة وتحقيق عبد الهادي عبله و أحمد غسّان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ط 1، 1984، ص 8.

(4) - أحمد (أحمد عبد الرزاق)، **الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي**، كلية الآداب- جامعة عين الشمس، القاهرة، ط2، 2006، ص ص 13 - 15

ذهب إلى ذلك بعض المستشرقين[5]، الذين جعلوا المدينة الإسلامية ـ في أفضل حالاتها ـ نسخة من المدينة البيزنطية، والقروسطية والإيطالية في القرن الحادي عشر[6]

ولئن تقاربت التصوّرات الشكلية للتراثين نتيجة لاشتراكهما في بعض المرجعيات الجغرافية والتاريخية وتفاعلهما المتواصل، أخذا وعطاء، فإنّ المفاهيم والمناهج التي أسست لكل منهما فرقت بينهما في العمق. لذلك فإنّ الوقوف على المواقع الائتلافية والاختلافية لهذين التراثين على ضفتي المتوسط سيساهم إلى حدّ كبير في بلورة العديد من المسائل العلمية الشائكة، وسيساعد على فهم طبيعة هذا التراث المعماري والعمراني الإنساني بشقيه الغربي والعربي ـ الإسلامي، والتعرّف على مدارسه وتتبع صيرورته التاريخية، وتمثّل خصائصه الفنّية، والاستفادة من كلّ ذلك قراءة وتصوّرا وتفاعلا وتدخلا.

> " تحاول هذه المساهمة العلمية، تفكيك هذا الغموض على مستوى الخلط بين مكونات هذا التراث، انطلاقا من قراءة نقدية واعية للدراسات المعاصرة التي همشت التراث المعماري والعمراني العربي الاسلامي في الضفة الجنوبية للمتوسط "

وفي هذا الإطار من التواصل والقطيعة بين التراث المعماري والعمراني للضفتين تحاول هذه المساهمة العلمية، تفكيك هذا الغموض على مستوى الخلط بين مكوّنات هذا التراث، انطلاقا من قراءة نقدية واعية للدراسات المعاصرة التي همشت التراث المعماري والعمراني العربي الإسلامي في الضفة الجنوبية للمتوسط وجعلت منه تابعا للتراث الغربي بالضفة الشمالية.

(5) - « *En résumé, Ville islamique, ville arabe, ville orientale ? Du point de vue de géographe, il n'y a pas de ville islamique car presque toutes les caractéristiques des villes de l'Afrique du nord et de l'Asie occidentale sont déjà présentes dans l'ancien orient plusieurs siècles et même plusieurs millénaires avant l'Islam. Le Souq est la seule innovation de l'époque Islamique* » WIRTH (Eugene): «*Villes Islamiques, Villes arabes, Villes orientales ? Une problématique face au changement*», in BOUHDIBA (Abdellwahab) & CHEVALIER (Dominique): *La ville arabe dans l'Islam*, éd. Cahiers du C.E.R.E.S- Tunis, & C.N.R.S.- Paris, 1982, p.198

(6) - « *En réalité une grande partie des caractéristiques de ce qu'on appelle la ville Islamique ne sont en fait que celles des villes byzantines, moyenâgeuses, et italiennes du 11ème siècle* » Idem.

كما تحاول طرح الإشكالية الخلافية ـ الائتلافية في التصوّر والإنجاز على مستوى المفاهيم والمناهج بين التراث المعماري والعمراني للضفة الجنوبية ذي المرجعية الفكرية والحضارية العربية الإسلامية، وتراث الضفة الشمالية المتجذّر في الفكري الغربي منذ العهد الإغريقي، ولا يزال في محاولة منها لفكّ الارتباط بينهما، وفهم آليات التّقارب والتّباعد التي تجمعهما، سعيا منها إلى بلورة منهجية نقدية شاملة، تعالج الخصوصيات الفكرية والمجالية لهذا التراث أو لذاك وتتواصل معه، تصوّرا وإنجازا، من خلال مقوّماته الذاتية، وتخليصه من الشوائب والشبهات العالقة به[7].

1 ـ مواقع الائتلاف والاختلاف:

لم يكن التّراث المعماري والعمراني الغربي ـ في نسخته الإغريقية أو الرومانية أو حتى فيما بعدها ـ اكتشافا جديدا استبق التاريخ، ولا نسخة صادقة أو مشوّهة للتراث الشّرقي القديم وبلاد ما بين النهرين، أو حتى مصر الفرعونية وفارس التي كان لها الأثر الكبير في ترشيد هذا التراث. لقد كان تواصلا وتفاعلا ثريا مع التجارب الإنسانية السابقة، أخذا وعطاء. ولم يكن التراث المعماري والعمراني العربي الإسلامي بدوره فتحا مبينا في السياق التاريخي العربي الإسلامي ولا كشفا روحيا، ميزه عن تراث الحضارات السابقة أو المعاصرة له. لقد كان تواصلا واعيا وتفاعلا مثمرا مع تراث الشرق القديم وتراث الأمم التي اعتنقت الإسلام، بما في ذلك التراث، المعماري والعمراني الغربي في نسخته الإغريقية والرومانية والبيزنطية الموروثة[8]، دون أن يتحول إلى عالة عليها أو نسخة هجينة، كما يزعم البعض.

كان هذا التفاعل تفاعلا وتواصلا إنسانيا ثريا، واعيا ورصينا، أحدث تراثا معماريا وعمرانيا نوعيا في مرجعياته، في مفاهيمه ومناهجه. فلا غرابة إذا أن نجد تقاطعا كبيرا بين التراث المعماري العربي الإسلامي والتراث المعماري والعمراني الغربي على ضفتي المتوسط، لانتمائهما

(7) - حول هذه الشبهات انظر: كريزويل (ك)، **الآثار الإسلامية الأولى**، مرجع سابق، ص 32.
(8) - المصدر نفسه، ص 7.

الحضاري والجغرافي المتفاعل والمشترك، ولا غرابة كذلك أن نجد فوارق كبيرة تشقهما للاختلاف المرجعي والفكري المؤسّس لكلّ منهما.

إنّ المتصفّح للتجارب المعمارية والعمرانية لكلا التراثين سوف يجد ـ ، رغم اختلافهما القطعي ـ تواصلا وتقاطعا كبيرا بينهما، على المستوى التكوين والشّكل، والتصوّر، بحيث لا يمكن نكران ذلك أو التغافل عنه، مما يوحي بالارتباط الوثيق الذي يجمع بينهما رغم اختلاف المواقع وتمايز السياقات التاريخية لكل منهما.

> "فلئن تشابهت الأشكال والنماذج المعمارية والعمرانية للمنظومتين فقد اختلفت دلالاتها ومعانيها، ولئن تشابهت وظائفها فقد تعارضت أساليبها وغاياتها"

ورغم هذا التواصل والتقاطع الشكلي أساسا فإنّ الاختلافات الفكرية والمنهجية بينهما لا زالت جلية وغير قابلة للاندثار، مما يدلّ على عمق كل من المنظومة المعمارية والعمرانية التي ينتمي إليها هذا التراث أو ذاك، وتفردها بقيم ثابتة لم يتمكّن التّدافع الحضاري بينهما من محوها كليّا.

وبقدر تعدّد أوجه التّشابه إلى درجة التماهي بين هذين التراثين في بعض الحالات، بقدر الفوارق التي تفصلهما عن بعضهما البعض إلى درجة التعارض في الحالات الأخرى ـ رغم المحاولات العلمية المعاصرة التي تفتقر في بعض جوانبها إلى الحياد العلمي، في معالجتها لهذه القضايا والجمع بين التراثين وفض هذا التعارض، تحت مظلة العقلانية في التصور والعلمية في المناهج والمفاهيم، خدمة لغلبة التراث والمنظومة المعمارية والعمرانية الغربية ـ إلا أنّها لم تفلح في إزاحة ما تبقّى من رمق أخير ونبض خافت للتراث وللمنظومة المعمارية والعمرانية العربية والإسلامية على الضفاف الجنوبية والشرقية للبحر الأبيض المتوسط، لتظل هذه الفوارق، ـ على استحياء ـ واضحة وجليّة[9]. فلئن تشابهت والأشكال والنماذج المعمارية والعمرانية للمنظومتين، وتقاربتا في وظائفهما و فيما هو معرفي إنساني

(9) - ديماند (م. س)، **الفنون الإسلامية**، ترجمة ومراجعة أحمد محمد عيسى و أحمد فكري، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1982، ص ص 4 - 6 و ص ص 24 - 27.

مشـــترك، فقـــد اختلفتـــا في دلالاتهمـــا ومعانيهمـــا، ومرجعياتهمـــا الدّينيّـــة والفلسـفيّة والرّمزيّـــة.

لذلـك فـإن محاولـة فهـم هـذه المعادلـة يسـتوجب منـا البحـث فيمـا وراء الأشـكال والألـوان والتكوينـات وتجـاوز ذلـك نحـو قـراءة فكريـة واعيـة لمـا بـين الرسـوم والخطـوط لنقـف علـى عمـق الاختـلاف والائتـلاف الجامـع بـين تراثـي الضفتـين.

ونعـني هنـا بالقـراءة الواعيـة، تتبّـع مـا هـو مسـكوت عنـه، إدراكا أو سـهوا، ومـا هـو مبعـد منـه تماهيـا مـع متطلبـات الكونيـة للحلـول والتصـورات المعماريـة والعمرانيـة ومعالجـة التـراث وتوظيفـه، ومـا تقتضيـه مـن تهميـش للمنظومـات المعماريـة والعمرانيـة المحليـة لصـالح المنظومـة الغربيـة الـتي فرضـت نفسـها بقـوّة فكرهـا ومرجعياتهـا وآليـات تحليلهـا وتقويمهـا، وبمدارسـها ونماذجهـا وأشـكالها ذات الصلـة بدلالاتهـا الفلسـفية والإيديولوجيـة، حـتى أصبحـت لـدى المختصـين قبـل غيرهـم مـن المسـلمات العلميـة والبديهيـات المعرفيـة.

2 ـ الوعي بالفكر المعماري والعمراني:

تجـاوزا لمحـاور الالتقـاء والتقاطـع بـين تراثـي الضفتـين الشـمالية والجنوبيـة للمتوسـط ـ والمتمثّلـة في كلّ مـا هـو عقـلاني ومـادي إنسـاني مشـترك، مـن مـوروث ومكتسـب ـ سـنجعل مـن طبيعـة الفكـر المؤسّـس لـكلّ مـن التـراث الغـربي والعـربي الإسـلامي ـ أيـن تكمـن مصـادر التمايـز والاختـلاف، وتتجـذّر المرجعيـات الفكريـة والدّينيـة والفلسـفية والإيديولوجيـة لكلاهمـا ـ هدفـا مؤقتـا لهـذا المبحـث، لمزيـد المعرفـة بمـا يجمـع ومـا يفـرق بـين هذيـن التراثـين، وضبـط الإطـار العلمـي والمعـرفي الـذي يحـدد منهـاج التعامـل والتفاعـل معهمـا وآليـات التّنزيـل لهمـا.

أ -الفكر المعماري والعمراني الغربي وتراثه بالضفة الشمالية للمتوسط:

بالرجـوع إلى البعـد الفكـري المؤسّـس للحضـارات الـتي ازدهـرت حـول البحـر الأبيـض المتوسـط بضفتيـه الشـمالية والجنوبيـة، والمؤسسـة بالتبعيـة

> "فما أن لم يتخلّ الفكر الاغريقي في نموه وتطوره وفترات ضعفه وقوته عن هذا المنحى الفلسفي حتى في أشدها تمسكا بالروحانية"

للفكر المعماري والعمراني لكلّ منها تتبيّن لنا الكوامن الفعلية الجامعة والمفرقة لذلك. فلقد ترعرع الفكر الغربي الجنيني بنزعته الإنسانية والعقلانية في حضن الحضارة اليونانية ـ الرومانية على الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط بالأساس، مستقطبا بذلك لجلّ الموروث الإنساني والفكري الشرقي القديم، بما في ذلك الرافدي والفرعوني والفارسي الذي كان لهم الأثر الكبير في ترشيد هذا الفكر[10]، من قبل أن يتجذر ويتمايز عن غيره ويشتد عوده ليؤسّس لحضارات عدة أهمها الحضارة الغربية ـ الكونية المعاصرة التي اكتسحت الكون كله في بعدها العقلاني والمادي الفلسفي الذي همش بدوره كل الحضارات المحلية المعاصرة، بما في ذلك الحضارة العربية الإسلامية، واحتوى تراثها.

إنّ موقع الإنسان في الفكر الإغريقي، كمركز للوجود، ونظرية العوالم المتقابلة والمتشابهة والمتقاطعة أحيانا: عالم الآلهة العلوي في السماوات (Le macrocosme) وعالم الإنسان السفلي فوق الأرض (Le microcosme)، دفع بالإنسان الغربي ـ في مساحة واسعة من التحرر الفكري الفلسفي والتّعايش السلمي الدّيني ـ إلى واجهة الصراع الفلسفي والإيديولوجي مع الغيب والكون والحياة[11]، ليجعل منه قطب الرحى في هذه المعادلة، باعتباره المنطلق لهذا الصّراع والمستهدف منه للتّحكم في هذا الكوني [12].

لم يتخلّ الفكر الإغريقي في نموّه وتطوّره وفترات ضعفه وقوته عن هذا المنحى الفلسفي حتى في أشدّها تمسكا بالروحانية، إذ سرعان ما يجد

(10) - سارتون (جورج)، **تاريخ العلم والإنسية الجديدة**، ترجمة إسماعيل مظهر، مؤسسة فرانكلين، القاهرة- نيورك، ط1، 1961، ص ص 127 - 196.

(11) - Selon HEGEL «….l'esprit se sépare de l'élément naturel, qu'il ne soit plus plongé dans la matière, dans l'intuition, dans le vouloir qui est nature ». Hegel (G.W.F), *Leçon sur l'histoire de la philosophie*, Trad. J.Gibelin, Gallimard, Paris, 1954, p 258.

وانظر أيضا: ستيس (ولتر)، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 1984، ص ص 13 - 22.

(12) - PIOTTE (Jean Marc), *Les nef clés de la modernité*, Les Éditions Québec Amérique, 2ème Éd., Québec, 2011, pp 11-22 et pp 23- 67.

نفسه في كلّ مرّة في نفس الدّائرة من جديد، وفاء لهذا المنهاج الذي أسست له الحضارة الإغريقية في تواصلها وتفاعلها مع من سبقها، ودعمته الحضارة الرومانية[13] في بسطها لهيمنتها على من سواها بالقوة والجبروت. وجدّدت بريقه الثورات الأوروبية من بعد عصر النهضة بجميع مشاربها واتّجاهاتها الإيديولوجية والفلسفية، وفرضت شرعيته الحضارة الغربية ـ الكونية المعاصرة بقوة عزمها. حتى طبع هذا الفكر الحراك التّاريخي الإنساني قاطبة وأصبح سياقه التّاريخي مرجعا ودليلا وإطارا زمنيا وحضاريّا لكل الإنسانية، ماضيا وحاضرا ومستقبلا[14].

فقسمت بناء عليه الفترات التاريخية الكونية إلى ثلاث مراحل كبرى: التاريخ القديم والتاريخ الوسيط والتاريخ المعاصر وفق ما يقتضيه سياق الحضارة الغربية ونسق تطوّرها، إضافة إلى مرحلة ما قبل التاريخ الخارجة أصلا عن تاريخ هذه الحضارة، لتتحوّل بذلك الحضارة الإسلامية برمتها ـ في عرف بعض المؤرخين ـ إلى جزء من السياق التاريخي الغربي الوسيط، بل عالة عليه ونسخة منه في فترات انتكاسته وضعفه.

لئن كانت شروط البحث تقتضي منا التطرّق ولو إلى هذه الملابسات التّاريخية والفلسفية التي واكبت ولادة الفكر الغربي وتطوره وضعفه وقوته، فليس الغاية من ذلك الإساءة المجانية لهذا الفكر أو للحضارة التي أنتجه، إسوة بكثير من المستشرقين الذين لم يتمكّنوا من الحفاظ على حيادهم العلمي تجاه الفكر والحضارة العربية والإسلامية، بل المراد من ذلك هو الوقوف على طبيعة هذا الفكر وتركيبته ومواقع قوته، وعلى العلاقة التي تربطه بنتاجه المعماري والعمراني الواسع والمنتشر. وما كان له أن ينتشر ويتوسّع لولا قوّة الفكرة، وتجانس المكوّنات ووضوح المناهج والمفاهيم، ومساهمة الإنسانية جمعاء في نشأته وبنائه وتشكّله.

إنّ طبيعة الصراع الفلسفي الذي خاضه الفكر الغربي منذ نشأته في

(13) - «*Ils se trompent tous ceux qui considèrent l'unité de l'esprit et de la nature comme la meilleure attitude de la conscience…. C'est d'une manière générale la position de l'orient …mais la forme première de la libre, spirituelle conscience de soi, par suite le commencement de la philosophie, se trouve chez les Grecs* » HEGEL (G.W.F), *Leçon sur l'histoire de la philosophie*, op.cit., p258.
(14) - Ibid., pp 258 -269.

أحضان الحضارة الإغريقية ولا يزال، كانت هي مصدر قوّته لتجانس مكوناته ومناهجه وآلياته، وتواصله مع الآخر، أخذا وعطاء؛ جاعلة منه قوة رهيبة عمادها التحرّر الفكري الإنساني والبرهنة العقلية والبراغماتية ـ رغم تعثره في التحلي دوما بهذه الصفة ـ ومساحة للالتقاء والشراكة الفكري الجمعي، فاكتسب بذلك صفة التوسّع والتواصل وتبوأ لنفسه موقعا كونيا وعالميا، جعلت منه حكما وحجة على غيره.

> إنّ هذا الطابع التحرري البراغماتي، الذي يمثل الدعامة الأساسية للفكر الغربي كان له الأثر الكبير على الفكر المعماري والعمراني الغربي في كل مراحل تكونه وتحوّله وعلى نتاجه المادي والنظري

فعلى سبيل المثال لا الحصر لم تزد معالجة بعض القضايا المعمارية والعمرانية العربية الإسلامية في إطار المنظومة العلمية والمعرفية الغربية ـ الكونية ـ لعجز في الفكر المعماري والعمراني العربي الإسلامي الحالي على معالجة قضاياه الأنية في السياق التاريخي المعاصر، وغياب المناهج والآليات العلمية الملائمة لذلك ـ إلا توسّعا ومشروعية على حساب الفكر العربي والإسلامي نفسه، ولم يزدد هذا الأخير إلا تقلّصا وعجزا وتبعية لها. فضلا عن فشله في معالجة هذه القضايا أصلا، حال الفكر العربي الإسلامي في ذلك حال المستجير من الرمضاء باللهب، مما تسبّب له في مزيد من التصدّع والإرباك والتآكل والانزلاق شيئا فشيئا نحو هذه المنظومة الغربية، والالتحاق بدائرتها وقوّة عزمها، قراءة وتحليلا وتنزيلا، كنتاج طبيعي لإسقاط مفاهيمها ومناهجها العلمية على قضاياه بصفة آلية وفي تعارض تامّ مع طبيعتها ومرجعيتها، وكأنّ الأمر محسوم علميا ومعرفيا ولا جدال في ذلك.

إنّ هذا الطابع التحرّري البراغماتي، الذي يمثّل الدعامة الأساسية للفكر الغربي كان له الأثر الكبير على الفكر المعماري والعمراني الغربي في كلّ مراحل تكوّنه وتحوّله وعلى نتاجه المادي والنظري. فعلاوة على البعد المجالي الإنساني المشترك والواقعي بحكم المناخ والتضاريس والطبيعة... على ضفتي المتوسط، كان هذا البعد الفلسفي ـ في طابعه التحرّري الإنساني وبرهنته العلمية ـ الركيزة الثانية لبناء الفكر

المعماري والعمراني الغربي[15] وتنزيله في الواقع استجابة لحاجيات المجتمع ومتطلباته، ليكون بذلك ثنائية: فكرية ـ ميدانية ثابتة، قوامها في ذلك مرجعيتها الفكرية والفلسفية ذات البعد العقلاني الإنساني، المؤسّسة لكلّ تصوّر معماري وعمراني غربي، وبعدها المجالي المكتسب والموروث، لتجعل من التراث الغربي تجسيدا وتمظهرا مادّيا لخلفيات فلسفية وإيديولوجية ورمزية، وتجعل من هذه الخلفيات أرضية واجبة الوجود لكلّ مكوّنات التّراث المعماري والعمراني الغربي، حتى أصبح من المسلمات العلمية والمعرفية لدى المختصين أن التّواصل والتّفاعل مع هذا التراث أو معالجته لا تتم إلا من خلال هذه المعادلة الفلسفية ـ المجالية، التي تحوّلت بدورها في التفاعل مع التراث، إلى مقاربة علمية عامة في التعامل مع الموروث المعماري والعمراني الإنساني العالمي، بقطع النظر عن طبيعته وخلفيته ومرجعيته وقيمه وموقعه وسياقه التاريخي والحضاري.

لقد كان التّراث المعماري والعمراني الغربي أكثر المجالات المعرفية تأثّرا وتفاعلا بطبيعة هذا الفكر التحرري العقلاني الإنساني لطبيعته الإبداعية والجمالية، الذي لا يمكنها التطوّر إلا بعيدا عن الموانع المقيدة لحرية المبدع والفنّان. لذلك كان المهندس والمهندس المعماري الغربي، في بعده التّكويني العلمي والمعرفي وطبيعة تفاعله مع هذا التّراث، الأكثر تأهيلا وكفاءة في التّعامل مع هذا الثنائي الفلسفي ـ المجالي المؤسّس للتّراث المعماري والعمران الغربي، والأكثر حضورا من حيث التدخل في المدينة الغربية، كأهم المبدعين والمتدخلين في هذا السياق، مما جعل من تاريخ هذه المدينة وحاضرها شاهدا على هذه العلاقة الأبدية بين الحيز، تصورا وإنجازا، والمهندس المعماري الغربي، تكوينا وطبيعة، وبصمة من بصماته؛حاجبا بذلك دور بقية الكفاءات المتدخلة في المدينة، ومختزلا لها في شخصه[16].

ولعلّ التناغم الحاصل في التصوّر الهندسي والإبداعي العمراني للمدينة الغربية في بعدها التخطيطي الهندسي مع مكوّناتها المعمارية في تناظرها

(15) - هيدغر (مارتين)، **أصل العمل الفنّي**، ترجمة، أبو العيد دودو، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2003، ص ص 91 - 100.
(16) - المصدر السابق، ص ص 57 - 62.

الخطـي والمحـوري، والبحـث عـن الضخامـة والمنظـور... هـو مـن قبيـل توحـد في الخلفيـة الفكريـة الجامعـة للبعديـن المعمـاري والعمـراني في هـذه المدينـة، وتناغـم في المرجعيـة الفكريـة، والفلسـفية العقلانيـة، والإنسـانية مـع المجـال العلمـي والمعـرفي الهندسـي الغـربي، الماسـك بطـرفي هـذه المعادلـة، قديمـا وحديثـا.

> "لقد كان تاريخ المدينة الغربية، تاريخا لتراثها المعماري والعمراني ومدونة مفتوحة لمهندسيها ومبدعيها"

لقـد كان تاريـخ المدينـة الغربيـة، تاريخـا لتراثهـا المعمـاري والعمـراني ومدوّنـة مفتوحـة لمهندسـيها ومبدعيهـا. فمـن الممكـن تاريخيـا إحصـاء المهندسـين المعماريـين والفنّانـين الذيـن أسـهموا في بنـاء المدينـة الغربيـة، وتتبـع حركاتهـم وسـكناتهم الفنيـة والإبداعيـة، مـن أمثـال هيبوداموس دو ميـلاي[17]، وفيتريـف[18]، وميـكال ـ أنـج[19]، ودافنشـي[20]، وكاميلـو ـ سـيت[21] ولوكوربيزيـي[22] ..

(17) - **هيبوداموس دو ميلاي** (Hippodamos de Milet): مهنـدس معـماري، ريـاضي وفيلسـوف خريـج مدرسـة مدينـة ميـلاي الفلسـفية، عـاش في بدايـة الفـترة الكلاسـيكية الإغريقيـة حيـث أعـاد تصميـم مدينـة ميـلاي وبنائهـا وفقـا للنمـوذج التقسـيمي الهنـدسي سـنة 479 ق.م. بعـد أن هدمهـا داريـوس ملـك الفـرس سـنة 494 ق.م. يعـده أرسـطو منظـر التقسـيم الهنـدسي للمجـال. ولقـد اسـتأنس أفلاطـون بهـذا التصـور في مؤلّفـه: **الجمهوريـة**.

(18) - **فيتريف** (Vitruve): مهنـدس عسـكري ومهنـدس معـماري رومـاني (ق. 1 - ق.م.) مؤلف كتـاب (*De Architectura*) الـذي أصبـح مرجعـا للمدرسـة الكلاسـيكية الأوروبيـة بدايـة مـن القـرن الخامس عـشر للميلاد.

أنظـر: فيتروفيـوس، **الكتـب العشـرة في العمـارة**، ترجمـة مجموعـة باحثـين، جامعـة دمشـق، كليـة الهندسـة المعماريـة، ط1، 2009، ص 12.

و انظر أيضا: DE VITRUVE , *Les dix livres d'Architecture*, trad. E. Tardieu et A. Coussin Fils, Paris 1837, pp 1-10

(19) - **ميـكال - أنـج** (Michel-Angeiأ) (1475 - 1564) : فنّـان، نحـاة ومهنـدس معـماري وعمـراني أصيـل مدينـة فلورنسـا بإيطاليـا. انظـر: https://www.herodote.net

الرّابط: https://www.herodote.net/Michel_Ange_1475_1564_-synthese-295.php 31/10/2015

(20) - **ليونـار دافنشـي** (Léonard de Vinci) (1452 - 1519): متعـدد الاختصاصـات، فنّـان ونحـاة، مهنـدس معـماري وعمـراني وفيلسـوف مـن مدينـة فلورنسـا بإيطاليـا والرجـل الرمـز لعـصر النهضـة.

انظر: https://www.herodote.net

الرّابط: https://www.herodote.net/Leonard_de_Vinci_1452_1519_-synthese-546.php 23-8-2016

(21) - **كاميلو- سيت** ((Camillo-Sitte: مهنـدس ومنظـر معـماري مـن «فيـان» (1843 - 1903)عـرف بمؤلفـه الشـهير الـذي تميـز بـه عـن الطـرح الهنـدسي الحـداثي(1889) *l'Art de bâtir les villes* وهـي طريقـة إعـادة إدمـاج الـتراث المعـماري والعمـراني المـوروث في المدينـة المعـاصرة.

كاميلـو- سـيت ((Camillo-Sitte: مهنـدس ومنظـر معـماري مـن فِيِيَنَّـا النمسـاويّة (-1843 1903)عـرف بمؤلّفـه الشـهير (l'Art de bâtir les villes 1889) الـذي تميّـز بـه عـن الطّـرح الهنـدسي الحـداثي. وهـي طريقـة إعـادة إدمـاج الـتراث المعـماري والعمـراني المـوروث في المدينـة المعـاصرة.

SITTE (Camillo), *L'Art de bâtir les villes : notes et réflexions d'un architecte*, trad. CAMILLO .Martin, Éd.2, Atar, Genève, 1918, pp 11-16

(22) -**لوكوربيزيي** (1887-1965) (Le Corbusier) : مهندس معماري وعمراني فرنسي من أصل سويسري من مؤسسي العمارة الحديثة.

ولكنّه من الصعوبة تتبّع خطوات غيرهم من العلماء بالتّأكيد[23].

وتداعيا لهذا الفكر ذو المرجعية الفلسفية والفنية التي تسعى إلى التحرر المثالي من كل القيود كغاية أسمى لها، رغم تعثرها وفشلها في كثير من المواقع وخاصة في زمن الدكتاتوريات، تميز الفكر المعماري والعمران الغربي بتوسعه وبتعدد تجاربه، تعدد المتدخلين والفاعلين فيه، دون أن يتخلى عن هذه المعادلة الفلسفية ـ المجالية.

فكانت مدارسه الفنيّة من واقعية، وانطباعية، وسريالية، وتشكيلية، وتجريدية... وطرزه المعمارية، والعمرانية من إغريقية، ورومانية، وغوطية، وكلاسيكية، ومستقبلية، وبنائية وتفكيكية...، صورة بانورامية تبرهن عن توسّع هذا الفكر وكثرة عطائه، ومدى استيعابه لكل التجارب الإنسانية وعن الطبيعة الأفقية الجامعة والمنفتحة على الجديد والقابلة للإثراء مع تجاوز القديم.

> مهما بلغت درجة الاختلاف التي نشقت الفكر العربي الإسلامي ولا تزال، فإنّ طبيعته الساعية دوما للبحث عن مشروعية تاريخية ومرجعية نصّية، ومحاولة التجذر في الموروث، كانت وراء النزعة التراكمية لهذا الفكر

(23) - MARTIN (ROLAND), *L'urbanisme dans la Grèce antique*, A. et J. Picard, Paris, 1956, p 206 et pp 213 – 215.

الطراز الإغريقي

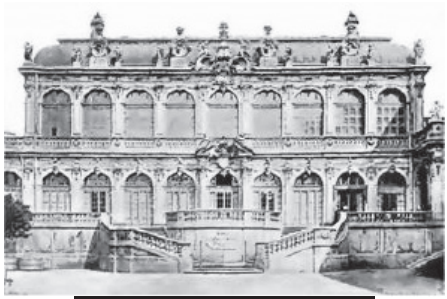

الطراز الباروكي

العمارة الحديثة

العمارة التفكيكية

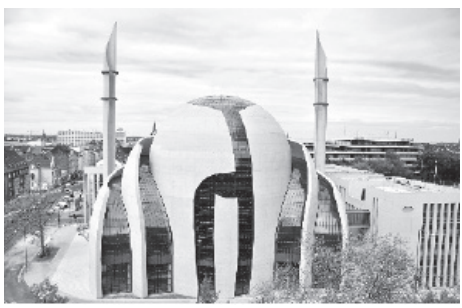

العمارة الرمزية

فبقدر سرعة ظهور هذه التجارب على أنقاض بعضها البعض وانتشارها كإفرازات فلسفية وفكرية وفنية، وفق سياقات تاريخية مختلفة، بقدر سرعة أفولها وتجاوزها واندثارها، تاركة وراءها شواهد تاريخية متراصفة تؤكد على أفقية هذا التوجه الفكري وتوسع تراثه المعماري والعمراني، المادي والفكري، وثراء تجربته.

ب ـ الفكر المعماري والعمراني العربي الإسلامي وتراثه بالضفة الجنوبية للمتوسط:

وفي المقابل ولد الفكر العربي الإسلامي الجنيني في رحاب الدّين الإسلامي بنصوصه وضوابطه الصارمة في التعامل مع هذه النصوص، إذ لا مجال في بداية الأمر لفهمها خارج سياقها الدّيني والمعرفي، أو وفق تأويلات مشطة تتجاوز النصوص الأخرى المفسّرة والمكمّلة لها، أو المعاني اللغوية والدّلالات القطعية المحددة لها. دون أن يلغي هذا دور العقل الإنساني في تفاعله مع هذه النصوص، فهما وتنزيلا على أرض الواقع، تعبدا وتعاملا، أكثر من كونه حكما على صحتها وعلى دلالة معانيها[24].

وبتفرّق المجتمع الإسلامي الأول عبر مساحات واسعة من العالم وتفاعله مع إثنيات مختلفة ولغات شتى، تعددت القراءات لهذه النصوص وتحول العقل في مكتسباته العلمية والمعرفية إلى منافس لهذه النصوص؛ فكانت ولادة وازدهار الفرق الفكرية والسياسية والعقدية المختلفة، قربا وبعدا من المنحى الفكري الأول في فهمها وتأويلها للنصوص القطعية والظنية، سواء بسواء، وفق ضوابط ومناهج وآليات علمية ومعرفية شتى، متجانسة أو متعارضة مع هذا المنحى.

لقد كانت المدرسة الاعتزالية ـ مثلا ـ العقلانية في توجهها العلمي والمعرفي ـ ولسياق تاريخي يتجاوز موضوع هذا البحث ـ فاصلا نوعيا في تطور نسق التّفكير والتعامل العقلاني مع النصوص الدّينية، وتحول العقل إلى حكم عليها من حيث الصحة والدلالة والترجيح، وفقا لآليات عقلية ومنطقية مكتسبة، تحقيقا للمقولة المؤسّسة لهذه المدرسة وعمدة مذهبها: **الحسن ما حسنه العقل والقبح ما قبحه العقل**[25].

(24) - البهنسي (عفيف)، **فنون العمارة الإسلاميّة وخصائصها في مناهج التدريس**، إيسيسكو، ط1، 2003، ص ص 15 - 20.
(25) - عبد الجبّار (القاضي)، **شرح الأصول الخمسة**، تحقيق عبد الكريم عثمان، وهبة، القاهرة، د.ت، ص 565.

> لقد كان للبعد التشريعي ـ العقدي، في احتضانه للممارسة المعمارية والعمرانية العربية الإسلامية، الأثر الكبير في توجيه الفكر المعماري والعمراني العربي الاسلامي

وبالانفتاح على الحضارات الأخرى، القديمة والمعاصرة للحضارة العربية الإسلامية، ـ لاسيما المتوسطية منها وخاصة الغربية في نسختها الإغريقية الموروثة ـ أصبح الفكر الفلسفي العقلاني مسيطرا، بتحوله ـ ليس فقط إلى أداة لترجيح هذه النصوص وتصحيحها وفق معايير علمية ومعرفية تتماهى ومفهوم العلم في الفلسفة الإغريقية والمنطق الأرسطي ـ بل أداة للحكم عليها وفهمها وتأويلها وتنزيلها في الواقع المعاش وحتى التعبدي وفق مقتضيات تأويلية مذهبية ومفاهيمية ومنهجية مكتسبة ووافدة. وبالانزلاق، شيئا فشيئا، للفكر العربي الإسلامي في فهمه الفلسفي ـ العقلي والإنساني لهذه النصوص وتنزيلها، كان لظهور المدرسة العرفانية العربية والإسلامية وفلسفة التصوف وانتشارها، تأثرا بالفكر الأفلاطوني والأفلاطونية الجديدة نسبة إلى أفلوطين[26]، الأثر الكبير في فهم هذه النصوص وتأويلها وتفكيكها فلسفيا بطريقة لم تبلغها من قبل. حيث تحوّلت بذلك إلى مساحة تقاطع مع النسق الفكري الفلسفي والعقلاني الغربي في نزعته التأويلية والتفكيكية للنصوص وتنوّع مدارسه الفلسفية، لتتماهى معه وتصبح بدلالتها الفلسفية العرفانية والرّمزية[27]، مدخلا منهجيا وتحليليا، وحجة علمية ومعرفية اعتمدتها حركة الاستشراق في دراستها للفكر العربي الإسلامي وتراثه المعماري والعمراني وتعميم ذلك الخطإ، مع غياب للحياد العلمي في كثير من الدّراسات[28].

ورغم أنّ هذه البسطة التاريخية والفلسفية التي أملتها طبيعة التّعامل المعرفي والمنهجي مع التراث المعماري والعمراني العربي الإسلامي، لا تفي هي الأخرى بالغرض العلمي المطلوب، لعمق الإشكاليات الفكرية المطروحة وتشعبها، إلا أنّه لا يمكننا الاستغناء عنها كليّا لفهم طبيعة هذا الفكر في نشأته وتكوّنه وتحوّله،

(26) - **أفلوطين** (PLOTINE) : فيلسوف يوناني، ولد سنة 204م في مصر، وتوفي في العام 270 م، في بلدة كامبانيا قرب روما؛ وهو الممثل الرئيسي للمدرسة الأفلاطونية الجديدة. نشأ في وسط متأثر بالفلسفة والعقائد الشرقية، وتتلمذ لمدة أحد عشر عامًا تقريبًا (ما بين 232 م، و243 م) في الإسكندرية، على يد أمونيوسزاكاس المؤسس الفعلي للأفلاطونية الجديدة. انظر: طرابيشي (جورج)، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006، ص ص 76 - 78.

(27) - روزنتال (فرانتز)، **مناهج العلماء المسلمين في البحث العلميّ**، ترجمة أنيس فريحة و وليد عرفات، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1961، ص ص -197 198.

(28) - كريزويل (ك)، **الآثار الإسلامية الأولى**، مصدر سابق، 15 - 32.

وفهم طبيعة فكره المعماري والعمراني، والوقوف على تطوّره، وتمايزه، وسبب اهترائه، وتآكله، واحتوائه من طرف الفكر المعماري والعمراني الغربي ـ الكوني المعاصر، وتهميشه وإبعاده عن الفعل.

ومهما بلغت درجة الاختلاف التي شقّت الفكر العربي الإسلامي ولا تزال، فإنّ طبيعته الساعية دوما للبحث عن مشروعية تاريخية ومرجعية نصّية، ومحاولة التجذر في الموروث، كانت وراء النزعة التّراكمية لهذا الفكر.

فبقدر ما كان الفكر الغربي يسابق الزمن في بنائه لمنظومته العلمية والمعرفية بطريقة استشرافية، باحثا له عن مشروعية في المستقبل ومتجاوزا لماضيه[29]، بقدر ما كان الفكر العربي الإسلامي يبني نفسه دون أن يفارق مرجعياته العلمية والمعرفية؛ باحثا له دوما عن مستند نصي ومشروعية فكرية وتاريخية تأصله في الماضي أكثر من استشراف المستقبل. الشيء الذي أكسبه عمقا في الفكرة وتراكما في التّجربة، وتواصلا مع الماضي بلغ به في العصور الأخيرة إلى حدّ التشبّث بهذا الماضي الذي تحوّل إلى معيق له عن التطوّر والتجدّد واستيعاب الواقع. فدفع به إلى الانغلاق دون التجارب الإنسانية الأخرى، ليسقط في الأخير ـ خارج سياقه التاريخي ونسق تكونه وتحوله ـ في الارتباك واستنساخ الذات، ثم الهجرة والالتحاق بدائرة المنظومة المعرفية الغربية، من حيث النسق والبناء والمرجعية.

لقد كانت طبيعة هذا الالتزام بالبحث دوما عن المشروعية التّاريخية والمرجعية النصية، التي خاضها هذا الفكر، تشبثا بأصوله ووفاء لماضيه ونسق بنيانه، مصدرا لقوة الحضارة العربية الإسلامية، لتجانس مكوناته ومناهجه وآليات تحليله، ومصدرا لتمايز هذه الحضارة وتراكم تجربتها المعمارية والعمرانية على مدى تاريخها. ليكتسب بذلك هذا الفكر صفة البناء والتراكم والتواصل على الامتداد الجغرافي والتّاريخ للحضارة العربية والإسلامية. مما جعله ونتاجه المعرفي ـ لا سيما المعماري والعمراني منه ـ كتلة متجانسة تستند في مرجعيتها التاريخية بعضها إلى بعض، وتستمد مشروعيتها من نفس النصوص المؤسّسة وخاصّة منها التّشريعية في بعدها القانوني والتّنظيمي،

(29) - يُشار إلى أنّ الفكر الغربي لم يكن دوما وفيّا لهذا المنزع، لا سيما في أواخر القرون الوسطى وبداية عصر التنوير والنهضة الأوروبية، حيث أعاد اكتشاف نفسه من خلال تراثه المعرفي الإغريقي وأصوله الفلسفية المؤسّسة.

والعقدية في بعدها الفكري والدّيني، مع بعض الفوارق التأويلية المذهبية التي واكبت تطورها وانتشارها، دون أن تفقد بذلك وحدتها وتراكم تجربتها. لتشكّل بذلك وعاء للممارسة المعمارية والعمرانية في المدينة العربية والإسلامية، على امتداد العالم العربي والإسلامي وطول تاريخه[30].

> "تداعيا لهذا الفكر ذو المرجعية التشريعية ـ العقدية الباحثة دوما عن المستند النصي وعن التواصل والمشروعية التاريخية، تميز تبعا لذلك الفكر المعماري والعمران العربي الإسلامي بتراكم تجاربه"

لقد كان للبعد التّشريعي ـ العقدي، في احتضانه للممارسة المعمارية والعمرانية العربية الإسلامية، الأثر الكبير في توجيه الفكر المعماري والعمراني العربي الإسلامي. فعلاوة على البعد المجالي الإنساني المشترك مع جميع الحضارات التي تأسّست على ضفتي المتوسّط بحكم وحدة المناخ والتضاريس...، كان البعد التّشريعي ـ العقدي، الركيزة الثانية لبناء الفكر المعماري والعمراني العربي الإسلامي، وتنزيل تراثه المادي في الواقع، استجابة لحاجيات المجتمع ومتطلباته. ليصبح هذا الفكر وعاء معرفيا متكاملا ذي بعد تشريعي ـ مجالي تراكمي. ليحتضن الممارسة المعمارية والعمرانية العربية الإسلامية التي لا يمكن فهمها في غياب هذه الثنائية التشريعية ـ المجالية[31].

لقد كان التراث المعماري والعمراني بطبيعته التشريعية ـ العقدية، عنوانا لبسط نفوذ القاضي على التصرّف المجالي والتحكم في المدينة العربية الإسلامية قبل غيره من المهندسين والفنّانين خلافا للمدينة الغربية، لكونه الأكثر أهلية في التعامل مع هذا التراث ببعديه المجالي والتّشريعي، ولتجانس تكوينه العلمي والمعرفي ووظيفته الاجتماعية والتّشريعية مع المرجعية التشريعية ـ العقدية للمدينة العربية الإسلامية بصفة خاصّة؛ ويحجب بذلك عن دور المهندس المعماري على أهمية حضوره وتأكد موقعه، وليتحوّل تاريخ هذه المدينة، إلى مدوّنة لتاريخ علمائها وقضاتها ـ من أمثال الأبي[32] بمنطقة الجزيرة، وابن عبد

(30) - البهنسي (عفيف)، فنون **العمارة الإسلاميّة وخصائصها في مناهج التدريس**، مرجع سابق، ص ص 25 - 28.

(31) - الباشا (حسن): **موسوعة العمارة والفنون والآثار الإسلاميّة**، أوراق شرقيّة، بيروت، ط1، 1999، مج 1، ص ص 201 - 210.

(32) - **الأبي**: أبو محمد بن خلف شهر بالأبي، صاحب وتلميذ الإمام ابن عرفة، تولى القضاء بمنطقة الجزيرة (الوطن القبلي). وتوفي سنة 828 هـ 1434 م. (انظر: مراد (يحيى)، **معجم تراجم أعلام الفقهاء**، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 204، ص ص 8 - 9).

الرفيع[33] بمدينة تبرسق وقابس وتونس، وابن عرفة[34] والبرزلي[35] بتونس، وسحنون[36] وابن عظوم[37] بالقيروان، واللخمي[38] بصفاقس، والمازري[39] بالمهدية، وابن فرحون[40] بالمدينة المنورة ـ أكثر من تاريخها المعماري والعمراني، وتاريخ مهندسيها ومبدعيها خلافا للمدينة الغربية التي اختصر تاريخها على شخصية المهندس المعماري[41].

ولعلّ في التّعارض الظاهري للتصوّر المعماري العربي الإسلامي على الضفّة الجنوبية للمتوسّط ـ الذي تميّز بالدّقة الهندسية والتناظر المحوري والبعد الجمالي والإبداعي في مراحل تحوّله الأخيرة، مع التصوّر العمراني الظاهري للمدينة العربية الإسلامية الموروثة، الذي غلبت عليه النزعة التّشريعية وافتقاده للتناظر والمنظور والدقة الهندسية ـ هو اختلاف في المنحى الفنّي لكلاهما رغم وحدة المرجعية المؤسّسة.

(33) - **ابن عبد الرفيع**: أبو إسحاق ابن حسن ابن عبد الرفيع، (ولد سنة 637 هـ 1239م. وتوفي سنة 733 هـ 1332م.) قاضي القضاة، تولى القضاء بمدينة قابس لمدة ثلاثين سنة، وخطة قاضي القضاة وأمام جامع الزيتونة بتونس سنة 699 هـ - 1299م، ثم عزل وتم نفيه وسجنه بالمهدية. (انظر: ابن فرحون (إبراهيم)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النّور، دار التراث، القاهرة، د.ت، مج1، ص ص 270 - 271).

(34) - **ابن عرفة:** أبو عبد الله ابن محمد ابن عرفة الورغمي أصيل مدينة غمراسن بالجنوب التونسي، (ولد 716 هـ - 1316 م. وتوفي سنة 803 هـ - 1400م.) ودفن بمقبرة الجلاز بتونس . إمام جامع الزيتونة لمدة خمسين سنة باية من 756هـ 1355م. ، تلميذ ابن عبد السلام وأستاذ البرزلي والأبي وابن فرون، تقلد الافتراء بتونس سنة 773هـ 1371 م.
(انظر: مراد (يحيى)، **معجم تراجم أعلام الفقهاء**، مرجع سابق، ص ص 228 - 229).

(35) - **البرزلي**: أبو القاسم ابن أحمد البرازيل البلوي، فقيه ومفتي وأمام جامع الزيتونة بتونس تلميذ وصاحب الإمام ابن عرفة الربعين سنة بعد تجاوزه للمئة في حدود سنة 841/843 هـ - 1437/1439م. أستاذ ابن عظوم. (انظر: المرجع نفسه، ص 39).

(36) - **الإمام سحنون**: أبو سعيد عبد السلام ابن سعيد ابن حبيب التنوخي أصيل مدينة حمص بسوريا ولد بالقيروان سنة 160 هـ - 776 م. تلميذ علي ابن زياد واسد ابن الفرات، سافر إلى المدينة المنورة سنة 188 هـ- 803م. ليتتلمذ على الإمام مالك الذي وافته المنية قبل أن يصل إليه، فيتحول بذلك إلى تلامذته المشهورين ليأخذ عنهم المذهب، من أمثال ابن القاسم واشهب وابن الماجشون...والامام سخنون هو مؤلف المدونة، عمدة المذهب المالكي، توفي ودفن بالقيروان سنة 240 هـ - 854 م (انظر: المرجع نفسه، ص 143).

(37) - **ابن عظوم**: أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عيسى ابن فندار أصيل مدينة القيروان أين ولد ودفن بها سنة 889 هـ1484- م. تلميذ البرزيي.(انظر: الزركلي (خير الدّين)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002ن مج3، ص 275).

(38) - **اللخمي**: أبو الحسن بن علي ابن محمد الربعي، عرف باسم اللخمي، تلميذ السيوري وابن خلدون وأستاذ الإمام المازري توفي بصفاقس سنة 478 هـ - 1085م. (انظر: مراد (يحيى)، **معجم تراجم أعلام الفقهاء**، مرجع سابق، ص 290).

(39) - **المازري**: أبو عبد الله محمد ابن علي ابن عمر التميمي المازري شهر بالإمام، تلميذ اللخمي وعبد الحميد الصايغ. أستاذ البرجيني وابن تومرت وابن رشد، مفتي وعالم وطبيب مشهور. توفي بالمهدية سنة 536 هـ - 1141م. وهو الآن مدفون بالمنستير. (انظر: المرجع نفسه، ص 296).

(40) - **ابن فرحون**: برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن فرحون، قاضي المدينة المنورة واحد عملائها المشهرين توفي سنة 799 هـ 1396م. (انظر: المرجع نفسه، ص 260).

(41) - ابن الرّامي (محمد بن إبراهيم): **الإعلان بأحكام البنيان**، تحقيق فريد بن سليمان، مركز النشر الجامعي، منوبة، ط1، 1999، ص 7 وما بعدها.

مدينة تونس

مدينة فاس

المنحى التشريعي

المنحى الهندسي

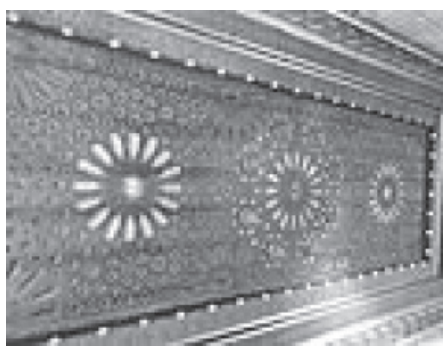

المنحى الفلسفي الرياضي

التعارض الظاهري في المدينة العربية الإسلامية بالضفة الجنوبية للمتوسط

(بين المنحى العمراني ذو النزعة التشريعية والمنحى المعماري ذو النزعة الفلسفية الرياضية)

فالتّصوّر الإبداعي الهندسي المعماري طغى عليه المنحى الفني والفلسفي في بعده العرفاني الصوفي الرياضي أساسا، وهذا لا يحسن وفادته إلا المهندس المعماري والفنان لتجانس تكوينهم المعرفي مع هذا المنحى، بينما التصوّر الثاني الذي يخصّ التصوّر العمراني بالمدينة العربية الإسلامية فقد طغى عليه المنحى التّشريعي ـ العقدي، الذي لا يعير للشكل أهمية قصوى، والذي بدوره لا يحسن التّعامل معه إلا القضاة.

كان ذلك تفسيرا وقراءة للعلاقة، الجامعة والمتعارضة في آن واحد، بين المدينة العربية الإسلامية ذات النسيج العمراني العضوي ومكوناتها المعمارية ذات التصور الهندسي الدقيق وتوضيحا لها، رغم التعايش بينهما، قبل أن تتغيّر المرجعية التشريعية لهذه المدينة وتلتحق بالمنحى الفني والفلسفي المعماري، تصوّرا وإنجازا، ويتمّ احتوائها من قبل الخلفية الفكرية الفلسفية ـ المجالية الغربية ـ الكونية، ليهيمن عليها من جديد المهندس المعماري وليهمّش دور القاضي وموقعه في التفاعل المباشر مع هذه المدينة[42].

لقد كان تاريخ المدينة العربية والإسلامية، تاريخا لتراكم تراثها المعماري والعمراني بخلفيته المجالية ـ التشريعية، وتاريخا لقضاتها وعلمائها. ذلك أنّه من السهل بمكان على الباحث الوقوف على سلسلة المتدخلين في المجال العمراني من بين هؤلاء القضاة طوال تاريخ هذه المدينة، والإلمام بحياتهم ومذاهبهم الفقهية. في حين أنه من الصعوبة بمكان تتبّع خطى غيرهم من المهندسين والمهندسين المعماريين والمبدعين، رغم حضورهم وأهميتهم بدون شك[43].

وتداعيا لهذا الفكر ذي المرجعية التّشريعية ـ العقدية الباحثة دوما عن المستند النصي، وعن التواصل والمشروعية التاريخية، تميّز تبعا

(42) - انظر: البهنسي (عفيف)، **فنون العمارة الإسلامية وخصائصها في مناهج التدريس**، مرجع سابق، ص 32. و مبارك (علي باشا)، **الخطط التوفيقيّة**، الهيئة العامّة للكتاب، القاهرة، ط1، 1964، ص ص 1 - 4.

(43) - انظر: الزركشي (محمد بن عبد الله)، **إعلام الساجد بأحكام المساجد** تحقيق، أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط4، 1996. و ابن الرّامي (محمد بن إبراهيم)، **الإعلان بأحكام البنيان**، تحقيق فريد بن سليمان، مركز النشر الجامعي، منوبة، ط1، 1999.

لذلك الفكر المعماري والعمران العربي الإسلامي بتراكم تجاربه، واستناد بعضها إلى بعض، رغم الاختلافات التأويلية لهذه النصوص في بعض الحالات.

فكانت المدارس الفنية المتواترة والمتواصلة على امتداد العالم العربي الإسلامي وتاريخه خير دليل على طبيعة هذا الفكر وارتكاز تراثه المعماري والعمراني ببعده المجالي ـ التشريعي وتراكمه.

> "ما استثناء التراث المعماري والعمراني العربي الإسلامي من القوانين المصنفة للتراث بالبلاد التونسية من قبل إدارة الحماية قبل الاستقلال والتركيز في المقابل على التراث الروماني إلا مظهرا من مظاهر هذا التهميش"

فمن الصعب أن تجد فوارق كبيرة تشقّ تواصل ووحدة هذا التراث بالضفة الجنوبية للمتوسط. ذلك أن المنظومة القانونية والتنظيمية للمدينة وللمجال العربي الإسلامي تتوحّد في أحكامها وفي نصوصها التشريعية المؤسّسة، بل إنّ اختلاف المدارس والمذاهب الفقهية الإسلامية، في فهم النص عموما وتأويله إلى حدّ التعارض في بعض المسائل الحساسة، نجده قد اختفى أو يكاد فيما سمي بـ «**أحكام العمارة**»، عماد هذه المنظومة التشريعية ـ المجالية، تأكيدا للوحدة المرجعية للتراث المعماري والعمراني العربي والإسلامي.

وما الاختلافات الشكلية التي يمكن ملاحظتها في هذا الإطار، إلا من قبيل الاختلافات التي لا تتجاوز الفهم الطبيعي، العرفي أو اللغوي، لنصوص هذه المنظومة، أو التطبيقي لها، استجابة للمتطلّبات المجالية المشتركة والمرتبطة بالمناخ، والتضاريس، والموروث المعرفي، والفني، والحضاري، ومواد البناء وتقنياته، بعد أن تمّ استيعابها من طرف هذه المنظومة وإعادة صياغتها من جديد وفقا لمناهجها ومعاييرها، وليست بالضرورة اختلافات فكرية أو فلسفية كبرى فرقت بينها[44].

(44) - الباشا (حسن)، **موسوعة العمارة والفنون والآثار الإسلاميّة**، أوراق شرقيّة، مرجع سابق، مج 1، ص ص 102 - 103.

3 ـ تداعيات الائتلاف والاختلاف على تراثي الضفتين بالمتوسط:

من الطبيعي أمام قوّة هذين التراثين في بعديهما الفكري والمجالي ـ مصدر تمايزهما ـ أن تكون بينهما حالة من المدّ والجزر والتّأثير والتأثّر المتبادل، أخذا وعطاء، لا سيما وأنّهما يشتركان في كلّ ما هو مجالي إنساني موروث ومكتسب من التراث المعماري والعمراني. لذلك فإنّ المساحة المشتركة بين هذين التراثين ستظل كبيرة والتواصل بينهما سوف لن ينقطع.

غير أنّه من الطبيعي كذلك أن يفترقا في منهجية التّفاعل والتّنزيل لهذا المخزون الطبيعي والإنساني المشترك، وأن يكون لكلّ منهما مساحته الخاصّة وذلك لطبيعة الفكر المعماري والعمراني الغربي في بعده الفلسفي الإنساني ـ العقلاني، ذي المنزع التنافسي والتّحرّري الذي يحاول استشراف المستقبل بتجاوز الماضي.

كلّ ذلك جعل التراث المعماري والعمراني الغربي، بالضفة الشّمالية للمتوسط، يتميّز بالعقلانية في التصوّر، والإنجاز، والتّفاعل، وبالاتّساع وكثرة المدارس الفنيّة. بدأ بالمرحلة الإغريقية حيث تأسّست قواعده الفلسفية ـ المجالية حيث الإنسان منطلقا وهدفا في مقاساته وأحجامه وحاجياته، إلى المرحلة الرومانية حيث تجسّمت في هذا التراث القوة الإيديولوجية من خلال قدسيته وضخامته وتجاوزه للتراث المعماري والعمراني الإغريقي[45]، إلى مرحلة القرون الوسطى حيث تفكّك التراث الروماني بتفكّك قوّته الفكرية والمادية، لينتشر مكانه ـ وبعد زمن طويل ـ الطراز الغوطي كثورة إيديولوجية، قاطعة بذلك مع التراث الروماني الموروث، من حيث القواعد التّكوينية والهندسية والرمزية.

ثم مرحلة التنوير والنهضة ـ مرحلة إعادة اكتشاف الذات والتّأسيس الفلسفي ـ المجالي الجديد بالنسبة إلى هذا التراث، من خلال التجربة

(45) - DE VITRUVE, *Les dix livres d'Architecture*, op.cit., pp 3 -12.

الكلاسيكية والباروكية والركوكو والفنّ الجديد[46]. وأخيرا إلى المرحلة المعاصرة، حيث انتشرت مدارسه وتوسّعت أفقيا وتفكّكت طرازه المعمارية والعمرانية بصفة لم يسبق لها مثيل، لتغزو بذلك العالم وتتحوّل إلى ظاهرة كونية جامعة، نتاجا للتفكّك الفلسفي والإيديولوجي وتجاوزا للماضي في زمن وجيز[47]. لتؤكّد جميعها على اتّساع أفق هذا التراث، وثرائه الذي ظلّ وفيّا ومتناغما ـ رغم ذلك ـ مع خلفيته الفكرية ونسق تكوّنه في كلّ فترات تاريخه بقوّتها وضعفها.

> "كلّ ذلك جعل التراث المعماري والعمراني الغربي، بالضفة الشّمالية للمتوسط، يتميّز بالعقلانية في التصوّر، والإنجاز، والتفاعل"

أمّا الفكر المعماري والعمراني العربي الإسلامي ـ في بعده التّشريعي ـ العقدي، ذي المنزع التّراكمي ـ فقد ميّز تراثه بالتواصل والتراكم وتوحّد المدارس المعمارية والعمرانية بالضفة الجنوبية للمتوسط تحت مظلة المرجعية التشريعية والعقدية؛ بدء بمرحلة التأسيس التي غلب عليها البعد التشريعي ـ العقدي أكثر من البعد التوظيفي للتراث المحلي الموروث ثم مرحلة التنزيل لهذا التراث في موقع الفعل والاستفادة منه في الفترة الأموية التي حاولت الأخذ بطرفي المعادلة التشريعية والمجالية. ثم المرحلة العباسية وما بعدها حيث بدأ التعامل الفلسفي العقلاني مع هذا الموروث وخاصّة منه المعماري أكثر حضورا لانتشار المدارس الفكرية، والفرق العقائدية، ذات المرجعية الفلسفية، لتبدأ مرحلة التّعايش والتّزاوج الفكري بين التصوّر المعماري الذي بدأ ينحو نحو المرجعية الفلسفية والجمالية وحتى الرمزية، والتصور العمراني للمدينة الذي لا زال محافظا على مرجعيته التشريعية ـ العقدية ومتقيّدا بها.

(46) - شيفر (جان ماري)، **الفن في العصر الحديث**، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1996، ص ص 13 - 20.

(47) - SITTE (Camillo), *L'art de bâtir les villes : notes et réflexions d'un architecte*, op.cit., pp 9-11.

فازدهر بذلك التعامل العقلاني وخاصّة الهندسي منه، كالتناظر الخطي والمحوري، والتناسب في الكتل، والاستفادة من الموروث على مستوى العمارة والفنون المكملة لها كالرقش والتّزويق. فيما حافظ النسيج العمراني للمدينة ـ الذي لم ينخرط بعد في المجال الفلسفي والرمزي على مستوى التصوّر ـ على مرجعيته التشريعية العقدية.

وبانتشار الفكر العرفاني[48] ـ بقطع النظر عن مصدره ومحتواه ـ كثرت المدارس الفنيّة وتنوّع تراثها المعماري، ليلتحق به شيئا فشيئا التراث العمراني، دون أن يتخلى عن مرجعيته التشريعية ـ العقدية. إذ لازال البعد التشريعي، هو المهيمن على التصوّر والتصرّف المجالي في المدينة العربية الإسلامية. لتتغيّر المعادلة أخيرا، باستبدال المنظومة التشريعية العقدية، التي واكبت تطوّر المدينة العربية الإسلامية بمنظومتها القانونية والتّشريعية، ذات مرجعية فلسفية وعقلانية، تأثرا بقوة وعزم الفكر المعماري والعمراني الغربي ـ الكوني المعاصر وتفاعلا معه.

هكذا وجد الفكر المعماري والعمراني العربي الإسلامي المعاصر وتراثه في تمام تامّ أو يكاد مع الفكر والتراث المعماري والعمراني الغربي، من حيث المرجعية الفكرية ذات المنزع الفلسفي الجمالي والرمزي، ومن حيث المناهج والبرهنة العلمية العقلانية، قراءة وفهما وتصورا، وتوظيفا.

وأمام توسّع الفكر المعماري والعمراني الغربي ـ الكوني وتقلّص حضور الفعل المعماري والعمراني العربي والإسلامي في موقعه الطبيعي بالضفة الجنوبية للمتوسط، تم التغاضي عن هذا التراث وتهميشه واعتباره في أحسن الحالات نسخة من التراث المعماري والعمراني الغربي الوسيط، لاختلاط المفاهيم وتعميم المناهج وغياب الفهم الصحيح لطبيعة التراث المعماري والعمراني العربي الإسلامي.

وفي هذا الإطار من التّفاعل المتشعّب بين التراثين بالضفة الشمالية

(48) - مرحلة فلسفية تعدّ تأويلية تفكيكية بامتياز.

والجنوبية للمتوسط، نحت المنظومة المعرفية الغربية ـ الكونية إلى التعامل مع تراثها المعماري والعمراني بطريقة عقلانية وبراغماتية، فكانت مقوماته الفنية والجمالية والعلمية هي أهم المرتكزات المنهجية للمحافظة عليه.

فكلّما اختزن هذا التّراث مقوّمات الفعل الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي في الواقع، كلما تمّت دراسته وتصنيفه والمحافظة عليه، وبقدر افتقاده إلى هذه المقوّمات يكون نسيانه، والتخلّي عنه. وما استثناء التراث المعماري والعمراني العربي الإسلامي من القوانين المصنفة للتراث بالبلاد التّونسية من قبل إدارة الحماية قبل الاستقلال والتركيز في المقابل على التراث الروماني إلا مظهرا من مظاهر هذا التّهميش.

> لازال البعد التشريعي، هو المهيمن على التصوّر والتصرّف المجالي في المدينة العربية الإسلامية. لتتغيرّ المعادلة أخيرا، باستبدال المنظومة التشريعية العقدية، التي واكبت تطوّر المدينة العربية الإسلامية بمنظومتها القانونية والتّشريعية، ذات مرجعية فلسفية وعقلانية.

وحتى نكون منصفين هناك بعض المساهمات العلمية الجادة للتخلي عن هذا التوجه الذي لا يزال يلاقي صعوبة، من طرف العديد من الباحثين والمؤرخين والمعماريين، نحو عالمية التراث الإنساني، بقطع النظرى عن مرجعيته الفكرية والمجالية، وجب علينا التّنويه بها.

خاتمة

أمام تعميم هذه المنهجية العلمية التي تم وفقها تصنيف التراث الغربي بصفته تراثا كونيا، واعتباره المرجع العلمي والمعرفي الذي لا مناص منه بالنسبة إلى كلّ المتدخلين في مجال الصيانة والمحافظة على التراث، اختلط الأمر في التعامل مع التراث المعماري والعمراني العربي الإسلامي، فتمّ إسقاط المرجعية التّشريعية والطبيعة التراكمية لهذا الأخير من المعادلة كلها لعدم تجانسها مع هذه المنهجية، والأخذ بما هو فني وجمالي وتقني ورمزي منه كقيمة يمكن الحفاظ عليها وتوظيفها متحفيا، لغاية اقتصادية ـ اجتماعية وثقافية بالأساس، على شاكلة التعامل المنهجي مع التراث الغربي ـ الكوني.

فإلى أي حدّ ستكون هذه المنهجية في التعامل مع التراث المعماري والعمراني العربي الإسلامي بالضفة الجنوبية للمتوسط قادرة على إعادة الاعتبار لهذا التراث والمحافظة عليه بعيدا عن التوجه المتحفي، وتوظيفه توظيفا يتماشى وطبيعته التراكمية ومرجعيته الفكرية بعيدا عن الهيمنة المنهجية للتراث وللفكر المعماري والعمراني الغربي ـ الكوني المعاصر؟

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

العربيّة والمعرّبة

ـ فيتروفيوس، الكتب العشرة في العمارة، ترجمة مجموعة باحثين، جامعة دمشق، كلية الهندسة المعمارية، ط1، 2009.

ـ هيدغر (مارتن)، أصل العمل الفنّي، ترجمة، أبو العيد دودو، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2003.

اللاتينيّة

- DE VITRUVE, *Les dix livres d'Architecture*, trad. E. Tardieu et A. Coussin Fils, Paris 1837.

- HEGEL (G.W.F), *Leçon sur l'histoire de la philosophie*, Trad. J.Gibelin, Gallimard, Paris, 1954.

ثانيا: المراجع

ـ الكتب

العربيّة و المعرّبة

ـ أحمد (أحمد عبد الرزاق)، الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي، كلية الآداب ـ جامعة عين الشمس، القاهرة، ط2، 2006.

ـ الباشا(حسن):موسوعة العمارة والفنون والآثار الإسلاميّة، أوراق شرقيّة، بيروت، ط1 ,1999، مج 1.

ـ البهنسي (عفيف)، فنون العمارة الإسلاميّة وخصائصها في مناهج التدريس، إيسيسكو، ط1، 2003.

ـ ديماند (م. س)، الفنون الإسلامية، ترجمة ومراجعة أحمد محمد عيسى وأحمد فكري، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1982.

ـ ابن الرّامي (محمد بن إبراهيم)، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق فريد بن سليمان، مركز النشر الجامعي، منوبة، ط1، 1999.

- روزنتال (فرانتز)، **مناهج العلماء المسلمين في البحث العلميّ**، ترجمة أنيس فريحة و وليد عرفات، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1961.

- الزركشي (محمد بن عبد الله)، **إعلام الساجد بأحكام المساجد تحقيق**، أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط4، 1996.

- الزركلي (خير الدّين)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط15،مج3، 2002.

- سارتون (جورج)، **تاريخ العلم والإنسية الجديدة**، ترجمة إسماعيل مظهر، مؤسسة فرانكلين، القاهرة - نيورك، ط1، 1961.

ستيس (ولتر)، **تاريخ الفلسفة اليونانيّة**، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتّوزيع، القاهرة، ط1، 1984.

- شيفر (جان ماري)، **الفن في العصر الحديث**، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1996.

- طرابيشي (جورج)، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006.

- ابن عابد (عائشة)، «حوض الأبيض المتوسّط قبل الفتوحات الإسلامية»، ضمن كتاب: **اكتشف الفن الإسلامي في حوض المتوسّط**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2007.

- عبد الجبّار (القاضي)؛ **شرح الأصول الخمسة**، تحقيق عبد الكريم عثمان، وهبة، القاهرة، د.ت.

- ابن فرحون (إبراهيم)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النّور، دار التراث، القاهرة، د.ت، مج1.

- كريزويل (ك)، **الآثار الإسلامية الأولى**، ترجمة وتحقيق عبد الهادي عبله وأحمد غسّان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ط 1، 1984.

- مبارك (علي باشا)، **الخطط التوفيقيّة**، الهيئة العامّة للكتاب، القاهرة، ط1، 1964.

- محمد مراد (بركات)، **رؤية فلسفية لفنون إسلامية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2009.

- مراد (يحيى)، **معجم تراجم أعلام الفقهاء، معجم تراجم أعلام الفقهاء، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط**1، 2004.

اللاتينيّة

- MARTIN (ROLAND): *L'urbanisme dans la Grèce antique*, A. et J. Picard, Paris, 1956.

- PIOTTE (JEAN MARC): *Les nef clés de La modernité*, 2ème Éd., Les Éditions Québec Amérique, Québec, 2011.

- SITTE (CAMILLO): *L'art de bâtir les villes : notes et réflexions d'un architecte*, trad. CAMILLO Martin, Éd.2, Atar, Genève, 1918.

- WIRTH (EUGENE): «Villes Islamiques, Villes arabes, Villes orientales? Une problématique face au changement», in BOUHDIBA (ABDELLWAHAB) & CHEVALIER (DOMINIQUE): *La ville arabe dans l'Islam*, éd. Cahiers du C.E.R.E.S- Tunis, & C.N.R.S, Paris, 1982.

المواقع الإلكترونية

- https://www.herodote.net